فضاء الاغتراب في شعر رعد زامل

The space of alienation in the poetry of Raad Al-Zamil

أ.م.د. كاظم فاخر حاجم الخفاجي: قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق

م.م. ديار حبيب موحان: قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق

Assist. Prof. Kazem Fakher Hajim: Department of Arabic Language, College of Arts, Thi-Qar University, Iraq.

Mr. Diyar Habib Mohan: Department of Arabic Language, College of Arts, Thi-Qar University, Iraq.

الملخص:

تهدف الدراسة إلى إبراز مفهوم الاغتراب وأنماطه عند الشاعر رعد زامل، ولتحقيق هدف هذه الدراسة فقد استخدمت الباحثة المنهج التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ابرزها: إن الاغتراب في شعر رعد زامل يُعد من أبرز الأزمات النفسية التي تعصف بالإنسان سيما الفنانين والمبدعين جراء انكسار أحلامهم ورؤاهم وطاقاتهم المتفجرة أمام واقعهم المتسلط، في ظل خيبات الأمل وحالة الإحباط واليأس الذي ينتابهم، مما يؤدي إلى تأزم علاقة المبدع مع الأنظمة بكافة رموزها، لينتهي به المطاف في دوامةٍ من الإحساس بالعزلة ليفضل الاستسلام والاكتفاء بالذات، وأيضاً تسليط الضوء من قبل الباحثين والدارسين على أنواع الاغتراب ومدى هيمنتها على الخطابات الأدبية لا سيما الشعراء المغتربين جراء الأوضاع السياسية.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، مفهوم الاغتراب، الاغتراب من المنظور الغربي، الاغتراب من المنظور العربي، أنماط الاغتراب، الاغتراب الذاتي الزمان، الاغتراب الذاتي الوجودي

Abstract:

The study aims to highlight the concept of alienation and its patterns in the poet Raad Zamil. To achieve the goal of this study, the researcher used the analytical approach. And their visions and explosive energies in front of their domineering reality, in light of the disappointments and state of frustration and despair that afflict them, which leads to a worsening of the creator's relationship with the regimes with all their symbols, to end up in a spiral of a sense of isolation to prefer surrender and self-sufficiency, and also shed light by researchers and scholars on the types of Alienation and the extent of its dominance over literary discourses, especially expatriate poets due to the political situation.

Keywords: concept of alienation, Alienation from Western perspective, alienation from Arab perspective, patterns of alienation, time self-alienation, existential self-alienation.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

يعد مفهوم الاغتراب من المفاهيم الفكرية الحديثة في الأدب العربي والغربي، إلا أن جذوره تمتد إلى عصور قديمة، متجلية في الفلسفات والكتابات اللاهوتية القديمة، متمثلة باغتراب آدم حين هبط إلى الأرض مغترباً عن وطنه الأصلي (الجنة) فأخذ الإنسان بعد هذا يعاني من هذه الظاهرة بشقيها الإيجابي والسلبي.

يرى شاخت أن هيجل هو أول من استخدم مصطلح الاغتراب بصورة منهجية منظمة، ذات طابع مزدوج (اغتراب خضوع، اغتراب انفصال)، فاغتراب الخضوع تكون فيه الذات خاضعة للعقل الموضوعي أما الانفصال فتكون خاضعة للتوجيه الخاص، وهكذا حتى جاء فويرباخ ليعبر عن الاغتراب الديني بجعله أساس كل الاغترابات، وعلى الإنسان المغترب أن يقتنع ويؤمن بأن الأرض هي موطنه الأصلي ودارهُ الأولى والآخرة.

وعلى خلاف هيجل جاء ماركس ليؤكد بأنه من الممكن تجاوز حالة الاغتراب من خلال تغيير النظام[1]، ويأتي دور "كايم" ليؤكد أن فقدان معايير المجتمع ناتج من عدم اكتمال التحول من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي، فيكون المجتمع غير منظم بصورة كافية لاسيما في المجتمعات الحديثة[2]، فمفهوم الاغتراب عند دور "كايم" قضيتها الجوهرية هي سلب المعرفة، وفي كل الأحوال فمعنى الاغتراب هو انفصال، والمعنى اللاتيني هو ذلك الذي لا يملك ذاته، أو (انفصال الذات عن العالم لتغترب عنهم)[3]، وقد ذكر شاخت في كتابه الاغتراب: (يغترب يعني حرفياً يغدو غريباً، أو يجعل شيئاً ما ملكاً للآخر، أنه حالة الوجود الإنساني، حالة كون المرء مغترباً أو مفارقاً لشيء أو شخص ...)[4].

وعلى الرغم من طبيعة هذا المفهوم وتعدد معانيه لابد من الوقوف على أهم تصورات المفكرين له من المنظور الغربي ومن ثم المنظور العربي.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يعد الشاعر رعد زامل استثناءً داخل الخطاب الشعري المعاصر وذلك بوساطة مساهمته الشعرية الإصلاحية المتمثلة في كيفية تصوير الاغتراب ووجوده في المجتمع وتأثيره على الفرد

(1) ميشيل مان: موسوعة العلوم الاجتماعية: 48.
(2) المصدر السابق، 55-56.
(3) يمنى الخولي، العالم والاغتراب والحرية، 8.
(4) المصدر السابق، ص8.

العراقي، ومن هنا تنطلق هذه الدراسة من سؤال محوري: كيف يتصور الشاعر رعد زامل الاغتراب وأنواعه في شعره؟ وعلى هذا الأساس فقد تم اختيارُ هذا الموضوع مبنياً على الأُسس الآتية أهمها:

- ما الاغتراب؟ وما أنواعه في النصوص الشعرية للشاعر؟
- ما مدى شيوع هذه الظاهرة في قصائد الشاعر سيما في الشعر الحديث؟
- ما مصادر الاغتراب في قصائد الشاعر رعد زامل؟
- في هذه الدراسة نطرح إشكالية تمثلات المنهج التحليلي في نصوص الشاعر (رعد زامل)؟ وما هي الأليات الإجرائية التي اعتمدها في ذلك التوظيف؟ وما الأبعاد الفنية والجمالية التي اكتسبتها قصائدهِ من هذه التوظيف؟
- استقراء حضور بعض أنواع الاغتراب وحصرها في أبيات الشاعر والكشف عن ملامحها بأبعادها المختلفة.

أهداف الدراسة:

- بيان مفهوم الاغتراب في نصوص الشاعر وإغناء قصيدة الشعر الحديث بمفهومه ووضوحه في أبيات القصائد.
- التعرف على أنواع الاغتراب في القصائد الشعرية لرعد زامل.
- الإحاطة بمفهوم الاغتراب في القصائد.
- استعراض المصادر التي استقى منها الشاعر اغترابه من النصوص الأخرى.
- توضيح دور ثقافة الشاعر في انتقاء النصوص الاغترابية أو المغتربة معها.

تقسيمات الدراسة:

احتوت الدراسة على مقدمة ومبحثين، جاء المبحث الأول بعنوان مفهوم الاغتراب واحتوى على مطلبين الأول منها انتظم بعنوان مفهوم الاغتراب من المنظور الغربي، والثاني جاء بعنوان مفهوم الاغتراب من المنظور العربي. وركز المبحث الثاني على أنواع الاغتراب وانتظم تحت مطلبين، فكان الأول الاغتراب الذاتي للزمان، أما المطلب الثاني فهو الاغتراب الذاتي للوجود.

المبحث الأول: مفهوم الاغتراب:

المطلب الأول: الاغتراب من المنظور الغربي:

لهذا المفهوم استخدامات عدة في اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية قبل ماركس وهيجل بفترة طويلة، مع احتفاظه بجانب من هذه الاستخدامات الأصيلة[1]، وسنحاول التطرق إلى أهم المعاني المستخدمة لهذا المصطلح:

إن لفظ (Alienation) في اللغة الإنكليزية مقابل للفظ (اغتراب) أو (غربة) في اللغة العربية، ولفظ (Alienation) في اللغة الفرنسية ولفظ (Enfremdung) في اللغة الألمانية، إذ أن اللفظة الفرنسية واللفظة الإنجليزية مشتقة من الأصل اللاتيني (Alien are)[2]، والقصد منها نقل الملكية من شخص إلى آخر بمعنى الإزالة والانتزاع، وهذا اللفظ مستمد من لفظ آخر وهو (Alienus) بمعنى التعلق والانتماء إلى شخص آخر، وهذا اللفظ الأخير مستمد من لفظ (Alius) بمعنى الآخر سواء اسم أو صفة[3].

يمكن أن يدل الفعل اللاتيني "Alienare" على معنى الفتور في العلاقة الودية بين شخص وآخر، وحدوث انفصال بينهما، كذلك تدل على الوضع الناجم من هذا الانفصال[4]؛ بمعنى أن العلاقة الودية بين الفرد والمجتمع حدث فيها توتر وكسر للروابط مما أدى إلى انفصالهم.

لجأ هيجل إلى استخدام مصطلح "Verausserung" بمعنى (التخارج)، جميع هذه المعاني يبدو أنها قد استخدمت مصطلح الاغتراب للتعبير عن معنى واحد وهو (الانفصال) سواء عن الملكية أو عن العقل أو الحواس، يقول هوبز: (إن إسقاط حق إنسان ما في أي شيء هو تجريد له من حريته ... فالحق يسقط إما بالتخلي عنه، أو بنقله الى شخص آخر)[5]، والقصد منه أن تخلي الإنسان عن حقه عمل اختياري إما عن قناعة أو طواعية لحفظ حياتهِ.

أما معاصري هيكل (فيخته) فقد استخدم مصطلح "التخارج" (Entausserung) لتغطية الفراغ بين العالم الظاهري والعالم الروحي، فيرى أن العالم الظاهري يعتبر نتاجاً للإبداع الروحي، فبالإمكان

(1) ريتشارد شاخت، الاغتراب، ص63.
(2)حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند إريك فروم،: ص38.
(3) ريتشارد شاخت، الاغتراب، ت: كامل يوسف: ص3.
(4) المصدر نفسه: ص65.
(5) المصدر نفسه: ص71.

الإنسان التفوق على هذا العالم بوعيه؛ لأنه ليس جزء منه وإنما هو سر وجوده، فنظرة "فيخته" للاغتراب تسعى إلى تفسير الحرية من منظور الوعي الأخلاقي وعلاقته بالعالم الظاهري[1].

يرى شاخت أن هيجل هو أول من استخدم مصطلح الاغتراب بصورة منهجية منظمة[2]، ذات طابع مزدوج (اغتراب خضوع، اغتراب انفصال)، فاغتراب الخضوع تكون فيه الذات خاضعة للعقل الموضوعي أما الانفصال فتكون خاضعة للتوجيه الخاص[3]، وهكذا حتى جاء فويرباخ ليعبر عن الاغتراب الديني بجعله أساس كل الاغترابات، وعلى الإنسان المغترب أن يقتنع ويؤمن بأن الأرض هي موطنه الأصلي ودارهُ الأولى والآخرة[4].

وعلى خلاف هيجل جاء ماركس ليؤكد بأنه من الممكن تجاوز حالة الاغتراب من خلال تغيير النظام[5]، ويأتي دور كايم ليؤكد أن فقدان معايير المجتمع ناتج من عدم اكتمال التحول من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي، فيكون المجتمع غير منظم بصورة كافية لاسيما في المجتمعات الحديثة[6]، فمفهوم الاغتراب عند دوركايم قضيتها الجوهرية هي سلب المعرفة، وفي كل الأحوال فمعنى الاغتراب هو (انفصال) فالمعنى اللاتيني هو (ذلك الذي لا يملك ذاته)[7]، أو (انفصال الذات عن العالم لتغترب عنهم)[8]، وقد ذكر شاخت في كتابه (الاغتراب): (يغترب يعني حرفياً يغدو غريباً، أو يجعل شيئاً ما ملكاً للآخر، أنه حالة الوجود الإنساني، حالة كون المرء مغترباً أو مفارقاً لشيء أو شخص ...)[9].

المطلب الثاني: الاغتراب في المنظور العربي:

أ. لغةً: جاء في لسان العرب في مادة غَرْبُ: الذهاب والتنحي عن الناس وقد غَرَب عنا يَغرُبُ، غرباً، وغَرَّبَ، وأُغْرَبَ، وأَغرَبه: نَحَّاه، والغَربُة والغَرْبُ: النوى والبعد، والمُغْرِبُ: المُبْعِدُ في البلاد[10]، وأغرب الرجل: جاء بشيء غريب ... وأَغرَبَ الفارس في جريه وهو غاية الإكثار، والغربُ والغرَبةُ:

([1]) ريتشارد شاخت، الاغتراب: 76 – 77.

([2]) ينظر: المصدر نفسه: 80.

([3]) السيد علي شتا، نظرية الاغتراب: 6 . 7، وكذلك في كتاب الإتراب اصطلاحاً ومفهوماً، الفيس النوري: 20.

([4]) الاغتراب، حسن محمد حسن حماد: 58.

([5]) ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية: 48.

([6]) المصدر نفسه: 55 . 56.

([7])حبيب الشاروني، الاغتراب في الذات: 69.

([8]) يمنى الخولي، العالم والاغتراب والحرية: 8.

([9]) المصدر نفسه: 8.

([10]) ابن منظور، لسان العرب: 638 – 640.

الحدَّةُ، ويقال لِحَدِّ السيف: غَرْبٌ ... واستغرب في الضحِكِ وأُستغربَ: أكثر منه ...[1]، والاغتراب والتغرب: البُعْدُ[2]، إغترب الرجل: بعد ونزح عن الوطن ... ويقال: الغربة عن الحال: عن حقيقة التعود فيه ... والغريب البعيد عن وطنه، اغتراب النفس: شعورها بالضياع والإستلاب، واغتراب داخل بلاده: أحسنَ بالغُربة فيها[3].

يتضح من المعاجم السابقة بأنه يكاد مؤلفوها يجتمعوا على معنى الانفصال والبعد، إلى جانب اغتراب الإنسان عن وطنه وأهله شرح ابن منظور.

اغتراب الإنسان داخل الوطن وبين الأهل والأحبة، فيقول: (رجل غريب ليس من القوم)[4]، هنا يدخل دور النفس البشرية والمشاعر التي تجعل الفرد مغترباً نتيجة الحزن والخوف والقلق كما يقول الأصفهاني (ت356هـ): (فقد الأحبة في الأوطان غربة)[5] وهذا من منظور الاغتراب الاجتماعي فله تأثير في النفس المغتربة، لأن المغترب غير قادر على التقولب بقالب الوضع المجتمعي أو (التمذهب بمذاهبهم السائدة)[6]، ومن الأدباء من عاش مغترباً وخصه بالدراسة وهو أبو حيان التوحيدي . فجاء رأيه بهذا المفهوم مستمد من تجربته الحياتية فقد قضى حياته منبوذاً، بائساً، متنقلاً، حتى أنه أقدم على حرق كتبه وعندما لامه صديقاً له بعث له برسالة يقول فيها: (... كيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة، فما صح لي من أحدهم وداد ؟ ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ ...)[7]، وهذا إحساس بوحدة الذات (فالوطن المادي لا معنى له إذا قيس بالوطن الروحي الذي تقطنه النفس الشاردة)[8].

يقول أبو حيان عن الغريب (إذا حضر كان غائباً، وإن غاب كان حاضراً)[9]. كذلك الإسلام أيضاً بَيّنَ مفهوم الاغتراب فقد وصفه أحد شيوخ الإسلام (القشيري) (رحمه الله) بقوله: (من الغرباء الذين طوبى لهم، وهو رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين أو عالم بين قوم جاهلين، أو

([1]) ابن منظور، لسان العرب: 642.
([2])مرتضى الزبيدي، تاج العروس: 179.
([3]) معجم المعاني الجامع، شبكة المعلوماتية.
([4]) ابن منظور، لسان العرب: 640/1 مادة (غرب).
([5]) أبو الفرج الاصفهاني، أدب الغرباء: 32.
([6])محمود رجب، سيرة ومصطلح: 41 . 43.
([7]) سميرة سلام: 17 . 18.
([8]) أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية: 14.
([9]) أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية: 79، وفي كتاب، سيرة ومصطلح، محمود رجب: 41.

صديق بين قوم منافقين)[1]، فالمعنى لمفهوم الاغتراب عند الإسلام هو الانعزال والانفصال عن الحياة الاجتماعية الزائفة.

عرف (الاغتراب) أيضاً في مكان آخر بقوله: (وغربة الهمة هي غربة طلب الحق... وهي غربة العارف ... وغربة العارف غربة الغربة لأنه غريب الدنيا والآخرة)[2].

حياة الحرمان والشقاء والمحن التي ألمت بالناس والمجتمع هي التي دفعت الشعراء للشكوى من الزمان فضلاً عن الأحزان والمصائب والنكبات والانتكاسات التي لا توافق الطموح وكأن الزمان هو المسؤول عن تلك التقلبات التي لا تلائم ميول الشاعر وأهواءه فنجد نتاجهم يحمل بين طياته ألم النفس ومرارة الواقع مما دفع بهم إلى الاغتراب فنجد شعر شاعرنا رعد زامل عبارة عن وثيقة احتجاج على ذلك الواقع السيء الذي يعيشه الناس.

وعند قراءتنا لخطاب رعد زامل الشعري وجدناه ثرياً بغزارة المعنى ودقة الأسلوب وعذوبة الألفاظ وبذلك يكون صالح للدراسات النقدية الأدبية سواء كانت قديماً أو حديثاً فقد شكل الزمان نظاماً نسقياً ذات فعالية فيه فقد عاش رعد زامل حالة صراع مع الزمن وأوضاع العراق فنجده يعبر عن هذا الزمن بلغة شعرية راقية تبتعد عن التقريرية والمباشرة.

وقد عبر عن موقفه من قوة الزمن بأسلوب إيحائي عبرها يمكن معرفة رؤية الشاعر الداخلية للزمن وكأن الزمن عدو للشاعر ويشكل هاجس مخيف له يدفعه إلى القلق والتشاؤم.

ويثل الزمان والوضع الراهن المشكلة التي أرهقت رعد زامل وشغلته فهو زمان ماكر وغادر بالبشر وقد حول كل ما هو جميل إلى قبيح والعزيز ذليل، وسوف نحاول هنا صد اغتراب الشاعر الذاتي الزماني بوساطة خطابه الشعري وهو يعبر عن ثقافته وكيفية تعامله مع نسقية الزمن.

يعد الزمن من أهم القضايا التي شغلت فكر الإنسان قديماً وحديثاً حث ظهرت معالمه واضحة وجلية في الكثير من العلوم العلمية مثل الرياضيات والفيزياء والعلوم النظرية مثل الأدب وعلم النفس وعلم الاجتماع؛ لأنه له صلة وثيقة بالخبرة الإنسانية وقد أكد علماء النفس " بأن كل وجود لذات دون زمن هو وجود وهمي أو هو اللاوجود ""[3].

([1]) فصل من لطائف القشيري في الآية . نداء الإيمان www.al-eman.com

([2]) المصدر السابق.

([3]) مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري للمؤلف، كرار موسى، تاريخ النشر 2019/313، مقال بعنوان ابعاد الزمن في الفكر العربي والغربي.

وبما أن الزمن تأسيس ذاتي ذاكراتي يربط الأزمنة بالحاضر فتمثل الزمن في الواقع يختلف عن تمثله في الزمن المبتغى إذ يكون الوقت وحركة الزمن في الواقع سريعة لتبدد الوقت هباء.

ولكن إنسان القرون الوسطى لم يدرك الزمن على أنه شيء اجتماعي أو أنه شيء ذو قيمة. ومن بين المقاييس التي تميز الفهم الحديث للزمن والامتداد والتوجه والإيقاعية ... الخ، فإن أهمها بالنسبة له كان الإيقاعية والتكرارية المتمثلة بتوالي فصول السنة ... الخ".

نتيجة للتطور فقد اكتشف الزمن " الفردي " الذي يأتي إضافة على نمو الوعي للشخصية الذاتية ومع وعي زوال الوجود الشخصي والنتيجة فإن قدرات الفرد يجب أن تتحقق خلال جزء زمني محدد من الحياة ""[1].

المبحث الثاني: أنماط الاغتراب

المطلب الأول: الاغتراب الذاتي للزمان:

الاغتراب الذاتي للزمان هو نمط من أنماط الاغتراب الذاتي أي عدم انسجام الذات مع اللحظة التي يعيشها الفرد فالزمن ملازم لل إنسان، والاغتراب الزماني هو اغتراب تأريخي فيمكن أن يكون المغترب مغترباً من الحاضر أو الماضي أو المستقبل أو عنها جميعاً " يتجلى في عدم تقبله وتحقيره وعدم الانتماء إليه، فهو حاضر الهزائم والانكسارات العربية المتلاحقة والعقم والتخلّف المزري"[2].

وقد أحس الجاهلي بالزمن واستمرارية وكان هذا الإحساس يؤدي به إلى القلق والخوف وقد أطلقوا عليه (الدهر) كما في قول ذي الأصبع العدواني:

أهلكنا الليلُ والنهارُ معاً * والدهرُ يَغْدُ مُصَمماً جَزَعَا**[3]

أي أنه كان قديما معروف بالوقوف على الأطلال فكان له حضور قوي وبارز في ثنايا الشعر العربي القديم، وبما أن الزمن حقيقي؛ لذا يمكن فقدانه واغترابه عن الفرد وبذلك يزيد من درجة اللاحرية، فالإنسان على عجل ليس للوصول إلى ما يريد وإنما هو يخشى التأخير والتخلف عن الأخرى وينبغي أن يثبت ذاته وحقها في الاحترام "احترام الذات".

قد أصبح الزمن في الخطاب الشعري نظاماً له حضوره في يوتوبيا الذات لان علاقة الزمن الماضي بالذات قائم على أساس القلق / الخوف المنبعث من ثنائية القلق / الراحة وهو بعيد عن

([1]) إيغوكون، البحث عن الذات دراسة في الشخصية ووعي الذات: 137.

([2]) بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، حليم بركات، ط1: 171.

([3]) المصدر نفسه: 40.

الوجود الحالي فالنسق الزمني ملازم للذات عن طريق دمج الواقع بالخيال وخاصة عندما تمد الذات إلى مواجهة الوجود بعوامل مدركة فتلجأ إلى وسائل مقصودة[1].

عندما يتذكر الشاعر الأيام الماضية تجود قريحته الشعرية بالشعر المفعم بالحنين والعاطفة نتيجة الاغتراب القاسي فنجده يتحسر على المجد الضائع والأيام المضيئة وقد حاول الشاعر إيصال الماضي العربي الأيام الحافلة بالحضارة والازدهار بالحاضر العابس فهو لا يمثل الماضي ولا يمجده ويفتقد إلى الزمان المشحون والمفعم بالحياة والتطور وهنا تكمن علاقة الاغتراب الذاتي والزماني معاً ومن النماذج على ذلك قوله:

أهكذا العمر

يمضي سريعاً

على دراجتهِ الهوائية

فيا للعمر إذ يمضي

ويا للطبيعة .....

وهي ترمينا وراءها

كبيضة فاسدة

وأقول قف"[2]

رغم أن حركة الزمن وتجديده تحمل معاني الأمل غير أن الزمن في وطننا يمضي بسرعة شديدة وأقصى ما في الزمن جريانه فلا نتمكن أن نماشيه فهو اسرع منا ويرمينا إلى الخلف وهو دليل التأخير، ويشبه التطور بالدراجة الهوائية المثقوبة التي لا يمكن أن توصلنا إلى ما نطمح إليه فسلاحنا الكلمات.

عندما ندغدغ ذكريات الأيام الماضية وجدان الشاعر يصبح شعره مفعماً بالحنين والعاطفة الصادقة ونتيجة لعدم تحقيق آمال الشاعر وبلوغ غاياته في هذا العالم نتيجة لقضايا عربية وقومية سادت المجتمع فدفعت الشاعر إلى اتخاذ الماضي وسالف الأيام محاولة للانعتاق من وطأة الحاضر، فقد عاش في وطن تنهشه الحروب وتتوالى عليه الطغاة' تلعب الذاكرة دوراً كبيراً في تشكيل الزمن وفي وعي الذات، فتجذر من الماضي زمن الديمومة والذاكرة عند برغسون على ما يذكر دولوز فهو

(1) أحمد جمال المرازيقي، جماليات النقد الثقافي نحو رؤية للأنساق الثقافية في الشعر الاندلسي: 103.
(2) رعد زامل، دراجة العمر: 59.

أول من انتبه في كتابه " المادة والذاكرة " إلى أن الماضي لا يمكن أن يمثله الحاضر إلا بافتراض ماضٍ مطلق لم يحضر أبداً فبدون الزمن الثاني يصير الزمن الأول متعذراً[1].

التحليل المدلولي لهذه القصيدة يكشف عن علامات دالة على الإحساس بالاغتراب وهي (بيضة فاسدة) أي خلوها من الحياة والروح و(ثقب) في الإطار والدلالة الصوتية لصوت القاف في قول (قفْ).

كرر لفظة (ثقب) ولعل هذا التكرار "ثقب في الإطار، ثقب في الرؤوس، ثقب يؤس لانهيارنا" ذات أهمية لتأكيد رمزية الوحدة والغياب وإثباتها وكذلك ينبه القارئ ويثير لديه التساؤل لماذا هذا التكرار ولهذه الكلمة بالذات مما يؤدي إلى كسر أفق التوقع المسبق لدى المتلقي لان التكرار هو الوسيلة التي يستطيع الشاعر عن طريق بيان علاقته النفسية بالعراق[2].

ظاهرة التكرار قديمة ولم تكن سمة جديدة عند شعراء العصر الحديث، فقد اشار إليها ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) إذ يقول: وللتكرار يحسن فيها، ومواضع يقبح فها فاكثر ما يقع في الالفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون الألفاظ اقل فاذا تكرر اللفظ والمعنى جمعاً فذلك الخذلان بعينه[3].

بعد ذلك يتأمل الشاعر ويرجو الخروج من هذا الوضع وتغييره حتى يخرج من صومعة الاغتراب وهذا التأمل مقترن بشدة الكبت الاغترابي والذي جعل الشاعر يذكر اسم صديقه وذلك لما لهذا الشخص في مكنون النفس الشاعرة الداخلي من دلالة على السعادة. وكأنما وجود هذا الشخص يملئ روحه حباً واستقراراً، وذكره لصديقه محاولة لخروج واقعه الفردي فيستعين بأقرب شخص يذكره بأيامه الماضية أيام الأمل.

يعد القتال بالكلمة والفكر الثوري أهم رمز للانتصار على الوحشية والهمجية وهذا دليل على أن خطاب رعد زامل خطاب جماعي ذات طموح جماعي لتحقيق مستقبل زاهر فـ " الحلم الجماعي بديلاً للحلم الفردي "[4].

([1]) جيل دولوز، عن الوجود والاختلاف، فلسفة جيل دولوز، عادل حدجامي: 190

([2]) كسر الأفق عند الشاعر يحيى السماوي، بحث للطالبة مها قاسم عبعوب، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مركز النور: 65.

([3]) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني: 73 . 75. كذلك ذكر في موسيقى الشعر العربي، حسني عبد الجليل يوسف: 162/1.

([4]) علي هاشم الازيرجاوي، خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني . التلقي والتأويل: 262.

وبعد ذلك يستدعي اللحظة التأريخية التي تعد ملاذاً للتعويض عن حالة القلق والإحساس المفجع واللاإستقرار الذي غلف وعي رعد زامل فيقول:

كلما تذكرت طفولتي

بين برك الحليب

والمستنقعات

بل كلما تذكرت العزلة

بين المزابل ...[1]

ينظر إلى الفاعلية الماضوية والنكوص إلى عوالم الطفولة للهرب من الواقع والوجود الحقيقي عن طريق تذكر عالم الطفولة بدلاً من الحاضر المسكوت عنه.

يبدأ باستعادة ذكرى طفولتهِ بوساطة ارتداد الذات في الزمن والرجوع إلى التاريخ فالذات أمام الزمن وسطوتهِ وآثاره الاغترابية تمارس نكوصاً ورائياً من أجل الفرار من الزمن الحاضر المتمثل وبالعزلة يتحرك الزمن فيلجأ الشاعر إلى تذكر الطفولـة وهي رمز العيش الذي يحلم به الشاعر (العيش المريح) الذي يرسمه لمجتمعه العراق بتجديد الحياة.

ولجوء الشاعر الى ذاكرة الطفولة للهرب من العالم الحالي والزمان المحايث فيقول أن الزمان الماضي (الطفولة) كان خيراً وبعيداً عن الإحساس بالفقر فهو كالطفل الذي بين برك الحليب، فالحليب أقرب شيء للطفل وأحب اليه من كل شيء وعندما توازن بين الماضي والحاضر نجد الماضي هو المركز والحاضر هو الهامش، تحاول الذات بوساطة هذا التذكر الخروج من غربتها الداخلية بإعادة الطفولة إلى حاضرها، ولكن زمن الطفولة غير ثابت وغير مستمر لكن الوقوف على خصائصها هي " محاولة للخروج من دائرة التأريخ والتخلص من حفظ المأساة والتثبت بالطفولة رمز للخصب والحنان والصبر كما هي متمثلة في عقل الطفل"[2]، فمرحلة الطفولة رمز للبراءة.

نجد هنا مقارنة بين مرحلة الطفولة (البراءة) / ومرحلة الحاضر (العنف) فالشاعر، يمسك بالزمن الماضي باستعادة الزمن المفقود، وقد وجدت هذه الصفة أيضاً في شعر الوائلي فقد جعل زمن الطفولة ملجأ ومهرب من الزمن الحاضر لقهر الاغتراب فيقول:

سَلِ الطفولة هل مـرّ الزمان على * ألذّ منها ومن أيّامها الأولِ**

(1) رعد زامل، زمن الطفولة: 10.

(2)جمال الدين إسماعيل، تداعيات المعاني في شعر الطفولة ودلالتها الرمزية في الشعر العراقي الحديث: 9.

أيام تشتار من صبح يطلُّ على * ورد وليل على الالحانِ منسدلِ**[1]

ولعل الحنين إلى الطفولة من اكثر الحالات التي تحس بها الذات الإنسانية؛ وذلك لاستذكار الذات الإنسانية لفقدها ما تعتز به سواء على المستوى المادي أو المعنوي وهي تمثل أجمل مرحلة عمرية[2].

استدعاء الطفولة لها حضور في التراث الأدبي القديم فهي الزمن الذهبي وملعب الأحلام والحرية ولها حضور كثيف في الأدب العربي. فخيال الطفولة لا يمحي من العقل الإنساني.

خسران الشاعر على أيام الطفولة مغلف باسى عميق، وبذلك فهو يفتح المساحة القرائية الفينومينولوجية لإدراك الحاضر عبر تذكر الماضي ومعرفة الوجود الحقيقي فرحم الذات والعالم الطفولي قد ربط بين الوجود الحاضر والسابق عن طريق المحمول الحقيقي للخطاب الشعري (الطفولة) وغنى الطفولة يقابله ياس الذات عند الكبر ودوران الزمن.

تميل الذات إلى عهد الخير والأمان عهد الطفولة وقد أصبحت مغتربة بأنيتها المحايث، فيبدأ الشاعر بالبحث عن مأوى يزيل له هذا القلق والضجيج، فيلجأ إلى الطفولة فيمارس نكوصاً ورائياً للهروب من هذا الزمن، فهي حياة خالية من الرعب ومتمثلة بالعيش المريح الذي هو حلم كل عراقي أن يعيش هذا العيش الوهمي ولكن كيف؟ هل يتوقف العمر عند الطفولة؟ وهل يمكن تكرار ذلك الزمن الطفولي وتجديد الحياة بالبقاء والديمومة؟!، ذكرى الطفولة لا يمكن ان تمحى وتنسى " زمن الطفولة كامن في الحلم مادام الإنسان حياً "[3] فهي لذة وهمية وحالة سحر فهي شبيهة " بالكذب الفني"[4] في الشعر.

مكتظ النص بالعلامات السيميائية والتي بوساطتها يتضح اغتراب الشاعر، ومن تلك العلاقات وصف الحاضر بصوت الذباب وماله من تأثير على المسامع وعلى الفكر والذاكرة، فينتقل من زمن تزهو به الذات إلى زمن يبعث السأم والملل عند الذات وهو صوت الذباب (أنين الذات)، إذ يقول:

تضج غيمة من ذباب

ذباب ....

(1) ديوان الوائلي: 208.

(2) أ. بسام موسى قطوس. الحنين للوطن في شعر الجواهري دراسة فنية، طيبة علي جواد الحربي: 76.

(3) راشد عيسى، إستدعاء الطفولة في الأدب: 19.

(4) قضية الصدق والكذب، سطور، https://sotor.com كتابة: محمود السينا، تدقيق: أزهار عبد الغني، 4 أغسطس 2020.

يلوث الذاكرة

ذبـاب .... ذباب

ذبـ .... اااااب[1]

ثم يبدأ يتساءل عن:

متى أخلع هذا الضجيج

من رأسي

وأرتدي قبعة السيان[2]

محاولة من الشاعر لتهدئة نفسه فيحاول أن يدعو إلى التحرر من هذا الواقع الاجتماعي عبر ما يبثه ن أحاسيس نابعة من تجربة اجتماعية قد عانى منها الشاعر طويلاً.

اليوم هو يوم العزلة بين المزابل يبدأ يصرخ صرخة ألـم لهذا الوضع ويتسـاءل متى ينتهي فتلك الآهات هي نتيجة طبيعية للظرف القاسي الذي يعيشه المجتمع فيقول:

آ آ آ ووووه ....[3]

تنبأ علاقة الصوت (آآآ) على حدة الاغتراب وضيق نفس الشاعر، وهذا التوجع دليل على إحساسه بثقل الزمن لذا قدم الشاعر قصيدتهِ هذه بلغة متواترة أي قائمة على التوتر الحاصل بين ما هو مضى (الطفولة) وما ينتظر (الحاضر، والمستقبل) وهذه الصفة (التوتر) من أهم الصفات التشكيلية التي ساهمت في صناعة قصيدة النثر.

يحمل الزمن كل المترادفات الدلالية التي توصي إلى هذا المفهوم في خلق تحولات جديدة التي قد تسير بالإنسان إلى الفقد والاستلاب كالدهر والأيام والسنين فالصراع مع الزمن يعدّ من الهموم التي أرقت الشاعر في اغترابهِ[4].

قد عبر الشاعر عن تجاربه بضمير الجمع، فعرض الفكرة بجمل إخبارية منتمية إلى الزمن الحاضر ومفتوح على الزمن الماضي، فالزمن قوة فاعلة ومؤثرة في الإنسان وقد ظل يمثل المحور

(1) رعد زامل، زمن الطفولة: 10.
(2) المصدر نفسه: 10.
(3) زمن الطفولة: 10.
(4) كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي: 324.

الأساسي في تشكيل ظاهرة الاغتراب الإنساني متمثلا بفقدان التوافق النفسي والانسجام الذاتي مع اللحظة التي يحياها الفرد[1].

ذكر الشاعر ثيمّة الحرمان والفقر وهي ثيمّة أساسية في خطابات الحداثة وخصوصاً في العراق، فالحداثة العربية توفرت فيها شروط التعبير عن عالم الفقراء[2]، والزمن عند الشاعر رعد زامل زمناً بيئياً فلا أثر للشمس فيه أي الصيف قد غادر وحل محله الخريف حيث الأشجار تخلع خضرتها، وهذا دليل على رمزية انسحاب الحياة ومداناة الموت (القتل) ونجد هذا المشهد حافلاً بمظاهر شحوب الحياة بوجود الظلمة وغياب الضوء، فالمقصود بالطبيعة هو العيش والحياة بينما الأشجار هي أبناء العراق إذ يدعوهم إلى التحرر من الوضع الراهن وقد شعر بالانكسار النفسي الزمان الذي أخضعت له الذات هو (العراء) في قصيدة عن الأشجار وهبوب الكارثة، فيقول:

في العصور المظلمة

العصور التي

لا أثر للشمس فيها

تتعرى

كل الأشياء

كل الاشياء

تتعرى، حتى الاشجار تخلع خضرتها[3]

العراء هو الفراغ واللازمان، قد وصف العصور بالتعري وهذا ناتج عن شعور نفسي يُداخ الذات بالانكشاف وفقدان الحماية في هذا الزمن فهو يحمل إحساس الوحشة ويجعل النفس خائفة من المجهول، ويعد ذلك رمز الضعف وتقويض البنيات والانساق التقليدية لتعايش الشعوب وضياع المعالم الثقفية الاجتماعية[4].

([1]) الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، دراسة اجتماعية نفسية، أحمد علي إبراهيم الفلاحي: 87.

([2]) فاطمة المحسن، تمثلات الحداثة في ثقافة العراق: 24 . 25.

([3]) عن الاشجار وهبوب الكارثة: 95.

([4]) مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، اغتراب الزمن وإنشطار الذا، مقال، إيمان العامري، تاريخ النشر 2015/6/8.

يصف هذا الزمن (بالعصور المظلمة) فالظلام دليل الوحشة في "الثقافة اللونية، لكل لون دلالة رمزية"[1]، فلا أثر للضوء فيه، فالذات هنا تشعر بالضيق وعدم الإنتماء والإنعزال لأن الشمس تدل على اليقظة وتظهر في الصباح فهي تمثل سواء كانت على الصعيد الموضوعي أو الرمزي الإشراق المشحون بالأمل فبغيابها يغيب الأمل وبذلك سوف تشعر الذات في الظلمة، أي: غياب الضوء وهو زمن موضوعي ونفسي في آن واحد، أي زمن إقامة الذات باغتراب عن الزمن الذي تعيش فيه.

وعموماً لا يدري الفكر من اين يمسك بقضية الزمن إنها تزهو وتتبختر في متاهات وتصطاد في الماء العكر، فالفكر ينظر اليه مرة بوصفه مبدأ للتغيير، ومرة أخرى بوصفه غلاف كل تسلسل زمني (كرونواوجيا)[2].

نلمح أيضاً في هذه الابيات زمن وجودي أي أنه من المستحيل أن يكون لا اثر للشمس في الحياة فهو دليل على إنطواء الزمن لان الظلمة تتسم بعدم الوضوح مما يصيب الذات تشوش في الرؤيا للعالم.

حال الذات في الظلمة هو فقد وإنتظار مجيء الضوء ولكن هذا الإنتظار دون جدوى فهو فقد ضمني للوقت في آنيتهِ، تعيشه الذات المشحونة بالتوتر فالذات تنتظر لحظة لا يمكن مجيئها، فخوف الشاعر من الزن وشعوره بالقلق والغربة قد اصبح قدر محتوم عليه[3].

العصور المظلمة التي ذكرها الشاعر في هذا الخطاب ليست مجرد لفظ لإكمال بنية الخطاب بل رامَ عبرها البوح بدلالات مخفية وراءها، وهي البعد عن التطور وقد شكلت حد فاصل بين التطور وعدم التطور، فالقطب الإيجابي يمثله الماضي والسلبي يمثله الحاضر في البنية الزمنية[4].

تسعى الذات لبيان عدوانية الظلام وذلك عبر دلالات رمزية قادرة على إيال المعنى إلى المتلقي مثلما يقصد الشاعر والعصور التي قصدها الشاعر قد بثت في ذاتهِ القلق والرعب وقد بالغت الذات في بيان تلك الظلمة بوساطة قوله " لا أثر للشمس فيها، نتعرى، تخلع " كل هذه الألفاظ فيها دلالات

(1) ينظر: الاشتغال السيميولوجي للألوان وابعادها الظاهراتية للشاعر عبدالله حمادي، خازة نادية، في ديوان البرزخ والسكين: 348.

(2) ينظر: ثمرات من دوحة المعرفة، هل الزمن موجود، إتيين كلاين، ت: فريد الزاهي، ط1: ص22.

(3) عليمات، جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي نموذجاً، يوسف عليمات، ط1، 171.

(4) أ.د حسين علي عبد الحسين، الاغتراب في الشعر الاسلامي والأموي، للطالب حيدر شراد: 46.

يكشف عنها سياق النص، يقول سمير الحاج شاهين: " لا ندرك التغير الا عندما يكون عنيفاً صارخاً، عندما تتميز الحالة عما يسبقها بشكل بلغت النظر ... "[1].

إنَّ هذا النص الضاج بالإحتجاج الكاشف لواقع حركة الشارع من غلقٍ تام وشهداء نرى فيه كيف وظّف رعد زامل هذه التفاصيل اليومية التي تمر بنا وبحركة الإحتجاج، فالكثير من شعراء قصيدة النثر والتفعيلة قد واكبوا هذه الحركة الاجتماعية الكبيرة مثل علي الحمزة ووسام الموسوي ورياض الغريب وغيرهم الكثير.

انتقال الشاعر من دائرة الإثبات إلى النفي عندما يقول (لا أثر للشمس فيها) ذات بعد رؤيوي يوجد خلفه تمزق ذاته، فهي نفي للذات خارج ذاتها وكانه يتسائل عن اثر الشمس، فالنفي يحدد اسلوب الشاعر في قول ما يريد على أساس انعدام التشابه الارادي والماثل المقصود بين عالمه والعوامل الأخرى؛ لأنه عندما يتلاعب بالنفي يبغي الإثبات بطريقة مخالفة[2].

المستوى الاوسع والمدى الأكبر في معاينة تمثلُ الذات للزمن وإحساسها بالوقت وتحولاته وإيقاعه ومنها إحساس الذات بالفصول والمواسم وتمثلها لفعلها ووجودها يقول رعد زامل:

هكذا تمضي بي الفصول

والضيف الذي

يطوق بابي الآن

ليس الربيع فما جدوى

أن أخرج . إذا . بقافلة من الورد

وحولي من العراء

سور مخيفة[3]

هناك تفاوت في شعور الذات من فصل إلى آخر وكذلك نجد غياب لفصل الربيع (... ليس الربيع) مقارنة بالفصول الأخرى؛ لأن الربيع فصل ميلاد الحياة والتجديد ووقت الإزدهار والتفتح والإنماء، فإن الذات تشعر بغيابه وهذا يعني غياب إحساسها بالبهجة وبتفتح الحياة في زمنها الماضي

(1) سمير الحاج شاهين، لحظة الأبدية (دراسة الزمان في أدب القرن العشرين): 76.
(2) صلاح فضل، نبرات الخطاب الشعري، ط1، دار قباء للطباعة والنشلا، القاهرة، 1998م: 193.
(3) رعد زامل، هكذا تمضي بي الفصول: 86.

ثم يقول " الضيف الذي يطرق الباب ويحدد الوقت في (يطوق بابي الان) هذا تأكيد على أن الزمن الماضي كان بالبهجة والازدهار.

يحمل الباب هنا رمزية إزدواجية أي رمز (الدخول والخروج) (والقريب والمجهول) الذي يأتي من الخارج (والمعروف المألوف) الذي هو موجود في الداخل فيرفض فتح الباب لأنه يعرف الطارق بأنه ليس الربيع فلا جدوى من فتحه أي لا جدوى بخروجه من عزلته؛ لأن كل ما حوله هو ما يدعو إلى الاغتراب المتمثل بالعراء الدال على الفقر والجوع وكذلك (سور مخيف) وهو إحاطة الشيء مما يجعل المكان مغلق إضافة إلى أنه مخيف فكل لفظة من هذه الألفاظ تدل على الضيق والقهر والغربة والعوز في هذا الزمن ولا يلبي آمال الذات وإنما هو من يخذلنا.

ثمّة شعورين مهيمنين على الذات الاول وعيها برحيل الزمن والفصول (هكذا تمضي بي الفصول) كالربيع، والآخر فقدان الذات الرجاء فيما سيأتي وانعدام الأمل والمستقبل (فما جدوى أن أخرج).

الباب إذا كان مفتوحاً يدل على الحرية واذا كان مغلقاً فهو حاجز وخفاء وغياب[1]. وإذا خرج فهو سوف يخرج من حالة إلى أخرى ولكن يؤكد بأن ليس هناك جدوى من خروجه.

الجدير بالملاحظة هنا تشظي دلالة الرموز (فالربيع ليس ربيع وقافلة الورود في العراء) داخل النص فيصبح المضمون ملون بلون الرمز إلا أن الرمز عند شاعرنا رعد زامل اسير لدلالة النص، فالشاعر يبث لنا صور يأمل منها باستنهاض الجماعة وتحرير الأمة.

عمد الشاعر إلى تكرار (هكذا تمضي بي الفصول) التي هي عنوان قصيدتهِ أيضاً؛ وذلك لخصائص جوهرية أراد بها توثيق وتقوية التواصل القائم على القلق الخصيب الذي يساهم في تنمية الفكر داخل الخطاب الشعري فيشير إلى نمط خاص من (الواقع / الحلم) فيحول الذات إلى ذات قلقة ومترقّبة، فخطاب رعد زامل يدعو إلى التواصل من ناحية والتجاوز من ناحية أخرى والعلاقة بينهما متوترة:-

تجاوز ⇌ توتر ⇋ تواصل

ثم يدعو الشعب إلى عدم الرضوخ والخوف للتخلص من هذه الهوةِ المظلمة فيقول:

ما معنى أن

أغلق على الحقيقة فمي

(1)شاكر عبد الحميد، الحلم والرمز والأسطورة: 262.

الشاعر الحقيقي هو الذي يعبر عن الواقع ويكون صوتاً للشعب. فلا يكون بوقاً للنظام، فبوساطة طبيعة الواقع المؤلمة تجعل الشاعر في صف المعارضة، فيبدأ يعبر عن قهر المجتمع وينقل أوجاع الناس ويصور ما يتعرضون له من ظلم وجور وحرمان وبذلك يعدّ شعر الشعراء الصادقين من أهم الوسائل التي تساعد على إيقاظ الجماهير وتنمية إدراكهم بواقعهم المرير وحقيقتهِ والمطالبة بحقوقهم المسلوبة، وهو بذلك منشغل بقضايا الشعب ومتألم لمصابهم فينصهر بصوت الشعب.

الشاعر في حالة ترقب مصحوب بالحذر واللهفة ينتظر معرفة من الذي يدق بابه ولكن عندما يفتح الباب لا يجد سوى الحزن والسراب فالانتظار متعب ويرهق المشاعر، وهذا يفسر إستمرار العجز المزمن في العراق وتكرار حالة الفشل والعجز عن تحقيق أي تقدم على مسار الخدمات والأمن والاستقرار بسبب فقر الفهم والممارسة السياسية.

المطلب الثاني: الاغتراب الذاتـي للوجـود:

هو نمط آخر من أنماط الاغتراب الذاتي، فحضور الاغتراب في خطاب رعد زامل الشعري لا يقتصر عن كونه ثيمة ذاتية وذاتية مكانية وزمانية بفعل الظروف السياسية والثقافية، بل يتعدى ذلك ليصبح هاجساً وجودياً تجسده اختلاف معنى وجود الفرد فيشعر بأنه غريب ومختلف عن المجتمع الذي حوله فلا يجد مغزى لما يحدث حوله فتصبح طموحاته غريبة عن ما يحدث في الواقع الخارجي.

الاغتراب الوجودي يعني انفصال الفرد عن الأنـا الواقعية، وأطلق الوجوديون على ظاهرة الاغتراب بـ(التشيؤ)[1]، ويقصد به هو عدم تكافؤ الفرد العامل مع الرأسمالي، فيؤدي إلى اغتراب الفرد، وشاعرنا المغترب المبدع يحاول إعادة صياغة الوجود ولكن ليس على الواقع وإنما في ذهنه، ويعد الفيلسوف الدنماركي "سون كير كيجارد" صاحب الوجودية الأول حتى وإن لم يستعمل لفظة الاغتراب، فقد كان واضحاً في فكرته وأشار اليه إشارة واضحة في كتابه (العصر الحالي/ الملف سنة 1846)، و تحدث فيه عن اغتراب الإنسان المعاصر، ويرى أنَّ الإنسان الحديث يضحي بحريتهِ لتحقيق الطمأنينة الزائفة وسط الجمهور بحيث يفقد ذاته ك إنسان فيصبح خاضع فقط مما يقضي على ذاته وبالتالي يفقد الحرية والاستغلال ويصبح في هاوية الاغتراب[2].

الظروف المحيطة بالفرد هي التي تحدد ذاته التي بواسطتها يمكن معرفة قدرة ذلك الفرد على التعايش أو المجابهة لذلك الواقع، لكي نحافظ على الهوية يجب أن تكون لعدد من الأفراد حتى لا تختفي من الوجود وتكون المميز للفرد عن باقي الهويات؛ لان الهويات متعددة وليست نوعاً واحداً

(1) الاغتراب الثقافي . دراسة وصفية تحليلية .، محمد حسن جابر، رسالة ماجستير علم النفس: 3 . 4.
(2) ينظر: الاغتراب عند إيريك فروم، حسن محمد حسن حماد: 63 . 64.

فقد نجد أفراداً عدّة يعيشون الظروف نفسها، ولكن تختلف استجابتهم لها وردود أفعالهم لتلك الظروف والعوامل فتكون الهويات متعددة ومميزة من فرد إلى آخر، فبوساطة إثبات الشاعر لهويتهِ يتمكن من تمييز حضوره وانتماءه الوجودي.

إننا أمام خطاب يعاني مشكلة الوجود ويفتقر إلى معنى الحقيقة الإنسانية فقد بدأ الشاعر الميساني رعد زامل يتساءل عن ذاتيتهِ والغاية من الخلق والكشف عن معاناة الوجودية المتمثلة بانهيار طموحات الفرد داخل حضارة اتسمت بالفراغ الروحي.

تبحث أسئلة الشاعر الوجودية عن أجوبة لكل تساؤلات الذات الإنسانية، فالمأساة العراقية تقود كل إنسان عارف ويمتلك رؤية ثقافية باصرةً وثاقبةً أن يطرح مثل هذه التساؤلات الغارقة بالالم والمثخنة بالخيبة، نرى أنَّ خطابه الشعري عبارة عن مرآة عاكسة للواقع لما فيه من تناقضات، فقد صور لنا الواقع بمصداقية وجراءة وقدمهُ بصورته القاتمة دون إخفاء للحقيقة حتى وإن كان الواقع صادم ومفاجئ إذ يكون الشاعر شاهداً منصفاً لتحقيق الاستقرار والأمن لنفسه ومجتمعه، خطابه عبارة عن وثيقة إنسانية هادفة لبيان عذابات الفرد العراقي الذي يعيش الصراع الوجودي ولهذا السبب نجد كلمات الشاعر ذات معاني كبيرة عبرت عن رؤاه المعرفية للوجود وتحقيق انتماءه للوطن وإثبات الهوية العراقية.

أصبحت الحيرة واللاإرادية سيدة الموقف ولذلك نجد الشاعر متحيراً وتائهاً في سرّ وضع العراق وغوامضه حتى وجد نفسه محبوساً داخل دائرة الاغتراب، وسلط الضوء على أسئلة تركت بصمة واضحة من الغربة والخيبة في كيانهِ فقد ظلت المأساوية الوجودية تلفه من كل جانب.

يستشف عبر قصائده ومجموعاته الشعرية بأن الوجود الإنساني يتكون من الذات والمجتمع الخارجي:

الوجود الإنساني ← العالم الخارجي + الذات

أكتسي هذا الضرب من خطاب رعد زامل برداء وجودي على مستوى شعره وشعوره وبدا اغترابه واضحاً عبر تساؤلات مكثفة حاول عن طريقها تفسير جوهر الوجود وسبر أغواره إذ يقول في وحل الوجود

في الأزمة كانوا دائما

ينتظرونني بصخب

ويودعونني بالحجارة

مرة .....

على أطراف المدينة

شممت رائحة الذئب

فهرعت مسرعاً الى بئري

اليوم ....[1]

يقصد الشاعر من كلامهِ في بداية خطابه (ينتظرونني بصخب ويودعونني بالحجارة) دليل على الغدر، فإذا كان الإنسان قوياً وثرياً احترموه وأحبوه فهو لا يشعر بالأمن والإطمئنان، الوطن يعيش فيه بدلاً من أن يعيش هو في الوطن، و" الإنسان المغترب على الصعيد الميتافيزيقي هو الإنسان الذي يفتقد فهم أمرين هامين يتعلقان بالوجود الإنساني هما: معنى الحياة والغاية من الحياة"[2].

فإذا تأملنا الارتباط في الفعل (ينتظرونني ...) والإستغناء عنه في (يودعونني ...) أدركنا قيمة إرتباط الفعل بالدلالة من أجل البحث عن المعنى الإنساني الذي يسعى إليه الشاعر، ويحاول الكشف عن معاني جديدة تسمو بالإنسان والتوديع بالحجارة يعني الطرد وليس طرد للشاعر وإنما لأفكار الشاعر؛ لأنه لا يملك سوى الشعر الذي يدافع به عن حقوق المجتمع ولكن الوضع الراهن قاسي ومؤلم.

نلحظ أنَّ العلاقة بين ينتظرونني ويودعونني واضحة هي علاقة عكسية بحيث أن يدعونني تنفي الوجود أو الإنتظار فـ "صراع الأضداد من أهم قوانين الديالكتيك، أي الظاهرة وضدها فلكل ظاهرة نقيض أو ضد[3].

ثم بعد ذلك يستبدل العالم الإنساني بعالم آخر وهو عالم الذئاب فينتقل من عالم مادي إلى عالم فكري فعالم الذئاب هو الواقع الحالي وهو العالم القوي وفريسته المجتمع فيكون ذات رؤية شيطانية فهو حيوان مفترس لسطوة ومقدرته فيهرب من هذا الواقع باللجوء إلى البئر وهو دليل الضيق أي ضيق النفس نتيجة الاغتراب.

([1]) رعد زامل، وحل الوجود: 131.

([2]) فاطمة محجوب، قضية الزمن في الشعر العربي، ط1: 50.

([3]) نبيل عودة، فلسفة مبسطة، ودة وصراع الاضداد، مقال نشر في 2015/1/4 الحوار المتمدن S.asp<https://m.ahewar.org

ويقصد الشاعر بـ (الذئاب) الطبقة الممتلكة والمسيطرة على أمور المجتمع "فالطبقة الثورية هي لاتي تمثل كل المجتمع مقابل الطبقة الحاكمة المنفردة"[1] وقد أكد على أن الوضع الذي يتحدث عنه الآن اي الوضع الحالي عبر ذكره لـ اليوم ...).

ثم بعد ذلك يذكر زمن الوجود (السوم بعد عشرين عاماً) هو من آليات الدفاع التي يتحرر بها الشاعر من محنتهِ العصبية التي كان الواقع السبب الرئيس فيها.

أي أنه بعد مدة من الزمن ولاسيما الوقت الحاضر نرى أهل الجور والظلم والغدر يؤذون من لا يؤذيهم ويظلمون من لا يظلمهم فقد أنارت المصابيح الطريق للذئاب على الرغم من أن الذئاب تهرب من الضوء والنور وهذا دليل قاطع على تغير الأحوال والأوضاع! ثم بعد ذلك يرجع ويقول:

وبعد عشرين عاماً

من البر

أرى المصابيح

قد أنارت طريق الذئاب إلى **الفريسة**[2]

بذلك فنحن لا نلوم الذئاب وإنما نلوم الذي أنار لهم الطريق فلا نلوم أعداءنا وقد سلمنا أمرنا إلى من يقتل بالبشر قرباناً للديمقراطية؟

نحن من فتحنا الأبواب لمن يستفردون بنا وينهبون خيراتنا ويسرقون آثارنا ويشعلون الفتنة بيننا ويشترون ذمم أقلامنا ... وأصواتنا !

الذئب يصول ويجول ويأكل ما يشاء منا ولكن الآن لا يفيدنا البحث عن من أتى بهذا الذئب وإنما كيف نسكت ونجعله يتمكن منا إلى هذا الحد ؟، هناك حكمة تقول: " يأكلك الذئب إنْ كنت مستيقظاً وسلاحك ليس في يدك ويأكلك الذئب إن كنت نائماً ونارك مطفأة "[3].

العلاقة بين أفراد المجتمع تتحول إلى علاقة عدوانية لغرض البقاء والنجاة الشخصية وقد وصف هذه العدوانية الطبيعية على مفهوم الانمساخ الحيواني، فالفرد يتحول إلى وحش أثر اختلال نفسي وطبيعة البشر في الأصل عدوانية وحشة، وهدف قيام الدولة هو انضواء الأفراد فحين ينهار النظام السياسي يرتد البشر إلى الوحشية / الذئب.

([1]) صلاح فضل، منهج الواقعية في الابداع الأدبي: 95.

([2]) رعد زامل، وحل الوجود: 131.

([3]) مقال على Facebook سنة 2016 يوم/5 من شهر/8 "أحلام مستغانمي"

دونية الحيواني وما استشفه الثقافة عبر عزله عن البشرية فهو لا ينتمي إلى الشكل الإنساني' الجهود الإستعمارية تسعى لتفكيك الحدود بين داخل وخارج وطبيعي وثقافي ومتحضر وبربري حي داخل الجسد أو ميت خارجه وأبرز تلك الجهود هي ما حدث في العراق.

للذئب تجليات كثيرة في الميثولوجيا والأديان والحكايات الشعبية فقد كان الشعراء قديما يعدوه من الصفات والسلوكيات الايجابية التي تستحق المدح والإشادة مثل الجرأة والشجاعة والحذر ومنهم من عده من الصفات السلبية مثل قول طرفة بن العبد يشبه به شخصاً فيقول:

فتى ليس بابن العـم كالذئب * إن رأى بصاحبه يوماً دماً فهة آكله**[1]

كما يرى فرويد أن الإنسان ليس مخلوقاً لطيفاً، بل هو على العكس مخلوق بين معطياته الغرائزية قسط قوي من العدوانية وذلك؛ لأنه الإنسان ذئب لأخيه الإنسان[2].

نجد هنا في خطاب رعد زامل حكمة مهمة وهي عدم منح الثقة لأي شخص والحذر من بعض العلاقات، ما أورده فقط إيضاحه يتعلق بحرية الفرد عبر جهاده وتغيير الواقع الذي أصبح فرض عين بدلاً من فرض كفاية لمواجهة هذا الواقع سياسياً وإقتصادياً وثقافياً، وهذا التغير لا يمكن أن يكون في جزء من العراق ولكن في كل ساحاتهِ.

في قصيدة العاصفة يصور لنا الشاعر الحالة الذاتية الاغترابية التي نشأت عن صراع داخلي يجول في نفسه لما هو كائن في حقيقة الواقع المرير إذ يقول:

لم أكن عارياً قبل الهبوب

ولكن العواصف

تسلب الناس

اشياءهم[3]

(هبوب . رياح . عاصفة) كلها مفردات تدل على الكيان العشوائي متناهي في الصغر ولكنه يمتلك فاعلية وطاقة تشويهية وتخريبية واسعة فهي تزعزع كل شيء وهدفها التخريب وترمز إلى القبح الذي يتجاوز الموجودات ومنها الاشياء الجميلة.

([1]) ملحق ديوان طرفة بن العبد، لخولة أطلال: 188 نقلاً عن ثمار القلوب: 389، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال http/to arab.ws/s/sb

([2]) حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع: 51.

([3]) رعد زامل، العاصفة: 181.

قصد الشاعر من العاصفة هي الأوضاع والظروف التي يعيشها بلدنا فقد سلبت من الناس العديد من طموحاتهم وأوصلتهم إلى الضياع فالعاصفة مهلكة للأشياء.

ثيمّة العاصفة نصية محورية تفجر دلالات الحزن والاغتراب في خطاب الشاعر على حد سواء والعاصفة هي احدى معالم الطبيعة ومظاهرها وكانت تمثل في شعر الشعراء قديماً ما يبعث الشوق والحنين إلى الوطن أما الآن فهي تعبير عن الاغتراب فلشدة قوتها تأخذ كل شيء يقابلها فقد كانت تعوض الشاعر البعيد ما أفتقده في ديار الغربة فتحمل عطر الأهل والأحبة والديار كما في قول المُرار بن سعيد الفقعسي:

لعمرك ما ميعـاد عينك والبكا * بـداراً الا ان تهـب جنوب**

أُعاشِـرُ في داراءَ مَن لا أُحِبُّـه * وَبِالرَّملِ مَهجورٌ إِلَيَّ حَبيبُ** [1]

يؤكد رعد زامل بانه قبل العاصفة لم يسلب ولكنها هي التي سلبت الناس أشياءهم، وبما أن العاصفة تحمل معاني التغيير والثورة تكابد الذات شعوراً بالفقد وشحوب الوجود وهذا تأكيد على الإفتقاد والتعري، هناك حراك حداثي فهو لم يعاني الاغتراب سابقاً اي قبل ما حلَّ بالمجتمع من ظلم هو الذي جعله يغترب فالواقع أن، كل نص كيفما كان نوعه يتم إنتاجه ضمن بنية اجتماعية محددة ويتفاعل ضمن إطار البنية نفسها[2].

يرسم الشاعر صورة الخراب والضياع الذي حصل للعراقيين في هذا الوقت والذي جعل الذات تصاب بالتهدم؛ لأن العاصفة عندما تحل في مكان لم تجعل له أثر تكون علاقة الإنسان بالواقع متأرجحـة "مما يشكل مناوئـة بينهما تشكل لحظـة اغتراب وصراع "[3].

جاءت هذه القصيدة فضلاً عن أخواتها الأخريات محملة بأنساق ثقافية واجتماعية ونفسية وسياسية نتيجة " تراكم سنين من القمع والقهر، لاشك أنه سوف يخلق نسقاً ثقافياً مضاداً "[4].

إنْ العاصفة كما هو متعارف عليها رياح ذات شدة وقوة فكيف إذا تعرضت طائرة من ورق وهو حفيف جداً بالنسبة إلى شدة العاصفة فماذا تفعل بهذه الورقة؟، فيقول رعد زامل:

مثلما تعصف بطائرة من ورق

([1])حيدر حميد شراد، الاغتراب في الشعر الإسلامي والأموي . مقاربة سيميائية: 135.

([2])سعيد يقطين، إنفتاح النص الروائي (النص والسياق): 134.

([3]) جماليات النقد الثقافي نحو رؤية للأنساق الثقافية في الشعر الاندلسي، أحمد جمال المرازيق: 69.

([4]) الذات وتشكلات الوعي في الرواية النسوية السعودية (دراسة في الأنساق الثقافية)، للكالب: حيدر محسن مجيد، وإشراف الدكتور: حميد يعقوب نعيمة: 185.

ثم أنظري

كيف اضيع

مثل طفل

لا أثر، له بعد العاصفة[1]

أوضاع بلدي تفعل بروحي مثلما تفعل العاصفة بالورقة فروح الشاعر رفيقة كرقة الورقة والعاصفة هي أوضاع بلدي قوية وشديدة فكيف يتحمل استيعاب تلك الظروف من جوع وفقر وحرمان وهذا ما دعاه إلى الشعور بالاغتراب.

يحمل الخطاب الشعري إمكانيات نصية قادرة على الإنفتاح ويسعى إلى بناء وجدان جمعي[2]، بوساطة تمثل الذات بمظاهر الشحوب الوجودي الملازم للعاصفة مثل زحزحة كل شيء عن مكانه. فمهمة المثقف أن يبين كيف أن هوية الجماعة القومية ليست كينونة طبيعية أو منزلة من السماء وإنما هي شيء مختلف ومركب[3].

إن ما ذكره رعد زامل لا يحتاج إلى من يبرره لأنه احتياج عام وهو أيضاً مراعاة لمقتضى الحال، الذي تحدث عنه الشاعر هو عجز المواجهة عن تحقيق الاستنهاض الشعبي العربي الواسع في وطننا، ومن المهمات الرئيسية هي دراسة سبل الخروج من هذا الوضع الراهن، وإيجاد التربة المناسبة لتوحيد كل الجهود والطاقات المنخرطة في المواجهة على مستوى الدولة وتجاوز كل الحساسيات والعصبيات للتطلع إلى مستقبل عربي يجمع أبناء الأمة على الوحدة والألفة وتجاوز كل ما يعيق هذا التوحيد والسلم والمحافظة على سيادة الدولة وعزتها.

ثم يتبدى الذات شعوراً بالاغتراب لدى الشاعر رعد زامل في فضاءات الوجود فيرتسم لنا بعض عناصر الوجود وعلاماته من الوحشية فيقول في قصيدة: غيوم دامية

يــا إلهي

ما الذي يحدث

لابد أن أحدهم

قـد طعن القمر

([1]) رعد زامل، العاصفة: 181.

([2]) عبدالله الغذامي، تشريح النص: 39.

([3])إدوارد سعيد، آلهة تفشل دائماً، ت: جسام الدين خضور: 51.

أو أن الطيور بكل سلالاتها

قد ذبحت في الأعالي

وإلا بماذا

أفسر هذه الدماء

التي في غير موسمها

تسيل مدرارا

فأنها الغيوم، تلك التي

تكونت من دماء قتلانا[1]

يقول في بداية قصيدته (يـا إلهي) وهو شديد العجب من الذي يحدث في وطنهِ من سفك الدماء حتى القمر أصبح لونه أحمراً أي من كثرة دماء العراقيين فقد كان للقمر في الذاكرة الشعرية العربية حضور تأريخي ممتد كعنصر من عناصر الطبيعة فله دوال ومدلولات عدّه، فالقمر هو طاقة الإضاءة التي تقضي على الظلمة وتبددها وهو مصدر الإلهام لدى الشعراء، أي أن للقمر سياق خاص وفي تصوير الذات للقمر قد تغير لونه الى لون الدماء اللون الأحمر أي كثرة الحروب والقتل فيعكس لنا شعور الذات بالفقد وبما أن القمر رمز للحياة والخصوبة ومصدر إلهام العراء إلا أنه قد تمثل في هذه الذات المغتربة مطعوناً مقتولاً، وكذلك سبب وجود الغيوم التي تدل على العتمة والظلمة فبدلاً من أن تتكون من البخار وهو ما يتعارف عليه ولكن قد تكونت من دماء الشهداء وهو دليل على كثرة القتل على أرض العراق والحروب المتتالية.

كما هو معروف عندما تحدث عملية الخسوف للقمر تبدو الأجواء ظلمة وفيها عتمة ويصبح لون القمر شبيه إلى لون الدماء فنجد ترابط لوني بين لون الخسوف للقمر والدم مما عمّق فاعلية الصورة.

القتل هنا مقترن بفعل القمع؛ لأنه دلالة خطر القتل هو اللون الأحمر أي لون الدماء وقد قرن رعد زامل ذلك اللون بدلالة أخرى تحيل على لون (طعن القمر أي الخسوف) فيظهر القمر باللون الأحمر أو ذبح الطيور فكل هذا يضمر الاختفاء والقتل كلياً في عتمة الليل الأسود.

(1) رعد زامل، غيوم دامية: 24.

وبعد ذلك يسعى الشاعر إلى الإفصاح عن التجربة الذاتية المعبرة عن القتل والحرب في هذا المجتمع فيقول: " لابد أن أحدهم ... " ف " لا " هنا جاءت لتأكيد الظلم وسفك الدماء والحرب والحزن الذي يسعى إلى الشاعر والاستقرار الذي يسعى إليه الشاعر.

نجد الوجودية قد "رسمت صورة لل إنسان الحديث على أنه في الوجود كمسافر فوق بحر لا خريطة له ويعيش في قلق مستمر مهما كان اتجاهه"[1].

وقد كثر تساءل ذات الشاعر مما يدل على المستقبل المجهول وتأرجح الذات بين حبلي ثنائية الوجود / العدم، فكل وجود هو خير فوجود الإنسان خير وكل عدم هو شر فمثلا عدم الغنى وعدم العلم هو شر محض[2].

ذهب سارتر في "كتابه الوجود والعدم" إلى أنه على الإنسان أن يخلق القيمة لنفسه فحياة الإنسان مصنوعة من المستقبل؛ لأن وضع الإنسان في العالم يحد من حريتهِ فعليه أن يقابل ذلك بمشروع.

كل كلمة في القصيدة تدل على انعدام الحرية التي هي حق من حقوق الإنسان، فالذات عن طريق وجودها في هذا العالم تسعى جاهدة إلى بلورة هذا الوجود وتفسيره عن طريق موقف يصدر عنها، وبذلك يتحول الموقف والذات شيء واحد "[3].

يبحث الشاعر الدلالة النسقية وهي الاستقرار والتي يبحث عنها المجتمع كله فقلق الذات أمام وجودها في الحاضر وما سيؤول إليه إلى مصير غير معروف وبين ماضيها الذي يمثل الاطمئنان يجعل الذات في صراع بين قطبين هما الماضي والحاضر.

لقد مزج الشاعر بين إحساسه بالاغتراب ومشاعر الحزن والجوع والقهر الذي يعيشها العراق والفخر بـ(الإمام الحسين (ع) وأرض كربلاء وذكر مدينتهِ (الكحلاء) وهذه سمة من سمات العديد من الشعراء سواء الذين اغتربوا عن أوطانهم أم أحسوا بالغربة في وطنهم نجدهم يذكرون مدنهم فنراه يقول:

ميسان جئتك قيثــارا يكللهُ

عطر الجنوب فأنت اليوم منهلـه

([1]) حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ط1: 46.

([2]) دراما الحياة في جدلية الوجود والعدم وسؤال المصير، جاس العلوي، مقال على Google https://www.qatifscience.com.

([3]) فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي . دراسة نصية: 32.

والشعر صوتي إذا ما انساب مرتفعاً

عذري بان جناح الشوق يحمله

يا أطيب الطين في تقويم خالقه

في دورة المهد أطفالا ترتلهُ

ها قد كبرنا وهذا الطين ما كبدت

إلا براءته الأولى تظلله[1]

تقترب ذات الشاعر من المكان الذي ولد فيه فقد صور لنا مشاعره الجياشة بوساطة أبياته التي تحمل بعداً اغترابياً وعندما يُعبر الشاعر عن أهل الجنوب ولاسيما مدينتهِ ميسان ينطلق من منطلق روحي ونفسي نجد فيه طهارة النفس وأصالة الإحساس، هنا الذات لا تغترب بنفسها وإنما بسبب واقعها المثقل بالجراح والهموم.

إن ذكر الشاعر لأسم محافظتهِ وبلده وتحديداً ذكر اسم (الكحلاء، أهل الجنوب) هو إثبات للهوية وتخصيصها وتأكيد لكينونتهِ، وهذه الهوية نابعة من عواطف وشعور شعبي وليس رسمي فالرسمي خاص بمؤسسات الدولة[2].

يبدأ رعد زامل خطابه هذا بمغادرة العزلة والعتمة فيفتح النص على أمل مدجج باليأس وقد حاول تحرير الذات من ثقل الواقع؛ لأنه عانى من تصدع روحي عبر التحليق في سمـاء وصف أهل الجنوب وهذه الرؤية مشحونة بالبقاء والأمل لهذا الوطن الضائع.

يبوح الشاعر بالمشاعر الوجدانية الصادقة والجادة بأفق الوطن الزاهي بوساطة ذكره لمفردات (ميسان عطر الجنوب، يا أطيب الطين، براءته الأولى، اخضرار العشب) برسم هذه المفردات داخل صور جميلة تحيل إلى الأمل هذه اللوحة وكل جزئياتها تتمفصل حول (أهل الجنوب)، فكل قصائد الشاعر بكل كلماتها وحروفها تشير إلى الفعل الكفاحي ضد الظلم والحرب فليس القصد من قصائده الإيجاز الإبداعي وإنما هو مشروع للخروج من هذا الوضع الراهن فنجده يقدم لنا حقائق واقعية لكي يكتمل النسق لديه فيحاول تطهير الفكر الجمعي السائد نحو الحياة " تشكل المدينة أو القرية نواة التنظيم الاجتماعي والنشاطات الاقتصادية في المجتمع العربي القديم والحديث "[3].

([1]) رعد زامل، ترانيم على ضفاف الكحلاء: 185.

([2]) شريف كناعنه، دراسات في الثقافة والتراث والهوية: 47.

([3]) حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات بين الحلم والواقع: 69.

تغير أوضاع الأرض التي ولد فيها وترعرع جعلهُ يتحدث عن كل شيء فيها سواء كان متحركاً أو ثابت كالأنهار والأشجار وحتى طينها وقد شكلت عنده نوعاً من المشاعر والأحاسيس والأحلام والأخيلة فهي جزء من كينونة الإنسان فالمكان الذي ذكره مكان سكنه وإقامته، لكن هذه الظروف المأساوية قد اجتمعت لتفسد عليه حياته بشعوره بفقدان الإحساس بالتجذر في الأرض التي أنبتته والطين الذي أحبهُ وقد مزج بين حبه للأرض والأهل معاً، فهو يتشوق إلى ماضيهِ أرضاً وأهلاً ولكنه لا يرى جدوى من هذا الشوق لأنه لا يتمكن من العودة إلى الماضي، اغتراب الشاعر جدّ مختلف ويبدو ذلك واضحاً بوساطة شعره المفعم بالحزن والأسى.

تفكير الذات في أهلها وقريتها يُعّدْ ملاذ الوحشة من اغترابها وهو نابع من وعي ثقافي جمعي؛ لأن القرية أو المكان الذي يعيش فيه هو عبارة عن مؤسسة اجتماعية تؤمن له الحماية والرعاية النفسية إذ سدت الأبواب بوجهه ولكن ذات الشاعر لم تستعيد توافقها النفسي مع المجتمع كمؤسسة اجتماعية توفر له ما يصبوا إليه أو كحضن تلوذ إليه عند الشدائد فقد فقدت هذه الذات الاستقرار وملاذ الراحة "فالهوية تعبير عن الذات"[1].

الصراع قائم في هذه القصيدة بين عواطف الحب والبغضاء وهو يخوض جدلية المدينة ثم يبدأ يتساءل هل هي القرية سابقاً ويجيب في نفس الوقت ليست هي فينتقل من نقيض إلى نقيض، فهو لم يفقد المدينة وإنما فقد جوهرها أي أن أخلاقيات الناس بدأت تتأرجح بين الزيف والتلون، لغة الشاعر هنا لغة تحليلية واقعية نقلت لنا سلبيات الأفراد.

وعندما نتساءل ونتأمل مع الحوار الداخلي (المونولوج) الذي وضعهُ الشاعر لخطابه الشعري نجد أنه استلهم الروح الشعبية متذكراً الطفولة والبراءة والمهد، فالشاعر ليس صغيراً في السن ليتحدث هكذا وإنما ليفرق بين ما هو قديم وما هو حديث في أوضاع العراق، فهو يتحدث عن الأمل والإيمان بالحياة (حياة الطفولة).

وقد قام بتحديد هوية المدينة عبر ذكره لـ (ميسان) وأهل الجنوب ومع كل الوجع الداخلي الذي يشعر به الشاعر فهو يؤكد بأن لا حياة له إلا على أرضه ومدينته الكحلاء.

بعد ذلك يحاول الشاعر ذكر ما هو محبب إليه وهو ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) للتخفيف من ثقل اغترابه ولكي يحس بالارتياح الذاتي.

نلحظ أنَّ ثقافة الشاعر لا تقوم على التراث الحديث فقط وإنما حاول المزاوجة بين ما هو قديم وما هو حديث؛ ليكون أكثر تأثيراً في المتلقي، إذ نجده يقول:

(1) عبدالله الغذامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية): 32.

ما سر نهرك ايتام منابعه

بعد الحسين فلا مجرى يعلله[1]

تعد هذه الأبيات تعبير صريح من الاغتراب الوجودي فإن استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) من أكثر الأمور أسىً وحزناً التي حصلت للمسلمين، قد كان هذا الاغتراب ماثلاً في أشعار العرب ظاهراً في أخبارهم.

وهنا تعظم مأساة الذات الشاعرة عندما يتذكر تاريخ الحسين الحافل بالأمجاد والبطولات فقد حمل راية الثورة العربية الكبرى لتخليص العرب من الظلم والقهر.

يتحدث عن الحزن لغياب الإمام الحسين (عليه السلام) أي أن الحياة بعد رحيلهُ أصبحت حزينة وسادها الجوع والخوف ويقصد الشاعر عبر هذه الأبيات بأن ذكرى الإنسان الحكيم تبقى خالدة.

ذكر الشاعر لهذه الشخصية العظيمة هو من باب عدم إهمال التراث في صنع حياتنا المعاصرة علينا أن نفعل ذلك؛ لأننا مازلنا نعاني من تمزق روحي عميق للقضاء على الانشطار بين الفن والنقد[2].

كذلك ذكره للإمام الحسين (عليه السلام) يوحي بدلالتين الأولى هي الفخر والثانية لما توحي إليه فاجعة كربلاء الأليمة، فمأساة كربلاء تدفع بالشاعر إلى الأسى والحزن وحرارة الفقد، فالشاعر يدعو بوساطة ذكر هذه الرموز إلى محاربة الاحتلال ونصر مبادئ الإصلاح، فنحن بحاجة إلى شخصية عظيمة كشخصية الإمام الحسين في الوقت الحاضر.

نجد أنَّ شاعرنا يرى حاله كحال بقية الشعراء العرب في أن " متنفَّسُهُ في مصيبة الحسين بن علي خاصة، وآل البيت عامة، فإذا بدواوين الشعراء عامرة بهذا الأدب الحزين المليء بالآلام والأحزان والدموع "[3].

تجسيد الشاعر لشخصية الحسين (عليه السلام) ليس غريباً؛ لأن واقعة كربلاء أصبحت ملهماً لكثير من الشعراء؛ لأنها واقعة قد هزت العالم بأسره وأثرت وتركت آثار كبيرة في النفوس[4].

أكد "لوسيان جولدمان" بأن هناك تمييز بين الوعي القائم أي الوعي المحايث في الآن والوعي الممكن أي تبصرات الوعي بالمستقبل وما سوف يحدث من تغيرات"، فالتراث يمنح القصيدة طاقة

(1) رعد زامل، ترانيم على ضفاف الكحلاء: 186.
(2) مختار أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر: 86 . 87.
(3) علي عباس عطوان، تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 34.
(4)جواد شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين (عليه السلام): 18/1.

تعبيرية لا حدود لها "[1]، فتاريخ الشخصيات الدينية يعد جذور راسخة لحياة جميع البشر وهذا التاريخ معطاء وثري في الوقت نفسه، يكون النص التأريخي بؤرة إشعاع مرجعي ثقافي ومعرفي، ويضيف الشاعر عليه دلالاته الخاصة الناتجة من أحداث الواقع ومواقفهِ[2]، ولاسيما الشعراء الذين "يعيشون في خضم الأحداث التي عاشها الإمام (عليه السلام)[3]، فضلاً عن ذلك فإن ربط الماضي بالحاضر يؤكد على أن القصيدة عفوية الذات فينفتح الخطاب ويتسع المعنى فيتعدد التأويل ويجعل النص ثري.

انطلق شاعرنا من الحاضر الذي هو الأصل ولكن أصل مشؤوم بعد ذلك بدأ يتذكر ويستعيد العالم الماضي عبر ذاكرة الذي لا يمكن رؤيته بالوجود الحاضر ولكن يمكن قراءته بوساطة الوعي المزدوج؛ لأن هذا الماضي باقي في الذاكرة، فيستحضر الشاعر لحظتين لحظة الملل والسأم عند الذات " فيقول سارتر في كتابه (نقد العقل الجدلي) إلى أن تموضع الذات ظاهرة إيجابية أساساً عبرها وحدها يمكن أن تتطور حياة المرء وشخصيتهِ وفرديتهِ "[4]، وهذا ما وجدناه عند شاعرنا بأنه يرفض الواقع الحاضر بتقبله الماضي وما تزهو به الذات من ذكريات

وما سبقت من أحداث فلحظات الماضي مختلفة عن الوجود الحقيقي الحاضر، بالرغم من اغتراب الشاعر نجده يدافع عن مدينتهِ وبصوت رومانسي فذات الشاعر ذات متمسكة بهويتها شأنه شأن الشعراء المحدثين في علاقتهم مه المدينة.

رفض المدينة سواء كان الشاعر أو لغيره من الشعراء ليس بالأمر السهل؛ لأنها جزء منهم، فلم يتمكن شاعرنا من رفضها مهما نقم منها، بالرغم من استقلال صوته عن المجتمع والرجوع إلى الماضي، فالشاعر يمثل الوجه الحضاري لمدينتهِ ولاسيما الوضع السياسي والاقتصادي وخاصة عند شعراء العراق لكثرة المواقف السياسية والاقتصادية في هذا البلد، لابد أن يعتاد الشاعر على حياة المدينة وأن يتقبل الواقع ولو فكرياً[5].

هذا لا يعني أن شاعرنا رعد زامل قد غيّر موقفه من وضع وطنه الراهن ولكن شدة حبه وتعلقه بمدينتهِ وإيمانه بالحضارة على الرغم من القتل والمآسي لكنه جزء من هذا الوطن وإلا لما شعر بالاغتراب نتيجة تدهور أوضاع العراق حيث تقربت المشاعر وضاقت الهوة.

(1) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات القرآنية في الشعر العربي المعاصر: 16.
(2)حسين مجيد رستم، المرجعيات الثقافية الموروثة في الشعر الأندلسي، عصري الطوائف، ط1: 334.
(3) عبدالله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية: 32.
(4) الاغتراب، ريتشارد شاخت، ت: كامل يوسف حسين: 245.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج على النحو التالي:

- للاغتراب عدة استخدامات في اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية قبل ماركس وهيجل بفترة طويلة.
- إن هذه الاغترابات هي حصيلة قراءات الشاعر والرصيد الثقافي الذي يمتلكه، وقد أغنى به نصوصه الشعرية.
- يتضح من المعاجم العربية القديمة السابقة بأنه يكاد مؤلفوها يجتمعوا على معنى وهو الانفصال والبعد، إلى جانب اغتراب الإنسان عن وطنه وأهله.
- تنوعت الاغترابات في قصائد الشاعر بين الاغتراب الذاتي والاغتراب الوجودي.

أوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات، منها:

- شعر الشاعر بالاغتراب نتيجة تدهور الأوضاع السياسية في البلد.
- مثل الشاعر الوجه الحضاري لمدينتهِ ولاسيما الوضع السياسي والاقتصادي وخاصة عند شعراء العراق لكثرة المواقف السياسية والاقتصادية في هذا البلد، لابد أن يعتاد الشاعر على حياة المدينة وأن يتقبل الواقع.
- الاهتمام والتركز على دور الرصيد الثقافي في صقل موهبة الشاعر وكيفية انعكاسها على نتاجه الأدبي.

قائمة المصادر والمراجع:

- إدوارد سعيد، (1972م)، آلهة تفشل دائماً، ترجمة: حسام الدين خضور، التكوين للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1996م.أدب الغرباء، أبو الفرج الأصفهاني، ط1، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت.
- سعيد يقطين، (2001م)، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب.
- جواد شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين، من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع الهجري، ، (د.ط)، (د، ت)، الجزء الرابع.
- علي عشري زايد، (1997م) استدعاء الشخصيات القرآنية في الشعر العربي المعاصر، مطبعة القاهرة، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع.

- راشد عيسى، (2013م)، استدعاء الطفولة في الأدب، (دمك/ لغة الإصدار/ عربي)، ط1، الرياض.
- أبو حيان التوحيدي، (1982م)، الإشارات الإلهية، تحقيق: وداد القاضي، ط2، بيروت، الجزء الأول.
- محمود رجب، (1986م) الاغتراب سيرة ومصطلح، ط1، دار المعارف، مصر.
- حسن محمد حسن حماد، (2000م)، الاغتراب عند إيريك فروم، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.
- حليم بركات، (2006م)، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية.
- مجلة، (1979م)، الاغتراب في الذات، حبيب الشاروني، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد.
- سميره سلامي، (2000م)، الاغتراب في الشعر العباسي، ط1، دار الينابيع، دمشق، سوريا.
- ريتشارد شاخت، (1995م)، الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- الاغتراب في الشعر الإسلامي والأُموي، للطالب حيدر شراد، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، 2016م.
- الحنين للوطن في شعر الجواهري (دراسة فنية)، طيبة علي جواد الحربي، باشراف: أ. بسام موسى طقوس، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، 2015م.
- الذات وتشكلات الوعي في الرواية النسوية السعودية (دراسة في الأنساق الثقافية)، للطالب: حيدر محسن مجيد، كلية الآداب، جامعة ذي قار، 2020م.
- الاشتغال السيمولوجي للألوان وابعادها الظاهراتية للشاعر عبدالله حمادي، خازة نادية، في ديوان البرزخ والسكين، بحث المركز الجامعي سوق أهواس.
- ريتشارد شاخت، (1986م)، الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، (د.ط)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر.
- يمنى الخولي، (2019م)، العِلم والاغتراب والحرية، القاهرة، ط4، المجلد الأول.

- أبن رشيق القيرواني الأزدي، (1981م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط5، دار الجبل، بيروت . لبنان: الجزء الأول.
- شاكر عبد الحميد، (1998م)، الحلم والرمز والأسطورة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة دراسات أدبية.
- حسين مجيد رستم، (2014م)، المرجعيات الثقافية الموروثة في الشعر الأندلسي، ط1، عصري الطوائق، مؤسسة دار السلام.
- مرتضى الزبيدي، (1994م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العزيز مطر، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الجزء الثاني.
- عبد الله الغذامي، (1987م)، تشريح النص، ط1، دار الطباعة، بيروت، لبنان.
- تداعيات المعاني في شعر الطفولة ودلالتها الرمزية في الشعر العراقي الحديث، أ. م. جمال الدين إسماعيل، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 55، 2008م.
- فاطمة المحسن، (2015م)، تمثلات الحداثة في ثقافة العراق، دار الجبل، بيروت، لبنان.
- إتيين كلاين، (2012م)، ثمرات من دوحة المعرفة، ط1، هل الزمن موجود، ترجمة مزيد الزاهي، أبو ظبي.
- يوسف عليمات، (2004م)، جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي أنموذجاً، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- احمد جمال المرازيق، (2009م)، جماليات النقد الثقافي نحو رؤية للأنساق الثقافية في الشعر الأندلسي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني . التلقي والتأويل، أ. م. علي هاشم طلاب الازيرجاوي، بيروت، لبنان، ط1، 2015م.الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، (دراسة اجتماعية نفسية)، د، أحمد علي الفلاحي، ط1، (د.ت).
- ديوان الوائلي، سمير شيخ الأرض، شبكة الفكر، 2012م.
- عادل حدجامي، (2012م)، عن الوجود والاختلاف فلسفة جيل دولوز، ط1، الدار البيضاء للنشر، المغرب.
- فاطمة محجوب، (1980م)، قضية الزمن في الشعر العربي، ط1، دار المعارف، القاهرة.

- سمير الحاج شاهين، (1980م)، لحظة الأبدية، (دراسة الزمان في أدب القرن العشرين)، المؤسسة للدراسات والنشر، المكتبة المركزية.
- ابن منظور، (1997م)، لسان العرب، دار أحياء التراث العربي، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط3، الجزء الخامس.
- معجم المعاني الجامع، تحقيق: يحيى جبر ووائل ابو صالح وغيرهم، شبكة المعلوماتية، فلسطين، ط1، (د.ت).
- ملحق ديوان طرفه بن العبد، خولة أطلال، بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: دربه الخطب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية، (د.ت).
- صلاح فضل، (1992م)، منهج الواقعية في الابداع الأدبي، دار عالم المعرفة، القاهرة، مصر.
- مجلة، (2015-6-8م)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، اغتراب الزمن وإنشطار الذات، مقال، إيمان العامري، تاريخ النشر 2015/6/8.
- ميشل مان، (1999م)، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة: عادل سعيد الهواري وسعد عبد العزيز، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
- صلاح فضل (1998م)، نبرات الخطاب الشعري، ط1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة .
- قضية الصدق والكذب، سطور، https://sotor.com كتابة: محمود السينا، تدقيق: أزهار عبد الغني، 4 أغسطس 2020.
- كسر الأفق عند الشاعر يحيى السماوي، بحث للطالبة مها قاسم عبعوب، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مركز النور.
- نظرية الاغتراب، السيد علي شنتا، دار عالم الكتب، العربي، ط1، المجلد الأول.